أنستاس الكرملي

١٨٦٦ - ١٩٤٧

للأستاذ مهدي القزاز

وفاة الكرملي :

في صباح اليوم السابع من شهر يناير سنة ١٩٤٧ توفي في المستشفى الملكي ببغداد العلامة (الأب أنستاس ماري الكرملي الحافي) أثر أمراض لازمته منذ مدة من الزمن كان يتغلب عليها بحيويته ونشاطه حتى تغلبت عليه في الأيام الأخيرة فاضطرته إلى دخول المستشفى . وكان وهو يصارع هذه الأمراض داخل المستشفى ، يطالع ما يأتيه من الكتب ويرد على الرسائل التي ترده من الشرق والغرب ويجيب على الأسئلة ويستقبل زواره الذين كانوا يتوافدون للاطمئنان على صحته . حتى أصبحت الغرفة التي ينام فيها مجلساً للشعر والأدب والنقد اللغوي ! وكان يشترك في بعض الأحاديث — بالرغم من مرضه الشديد ويستأنس بهذا الجو العابق بأحاديث الشعراء والأدباء الذين يفدون للسلام والاطمئنان .

وقبل وفاته بثلاثة أيام منعه الأطباء من المطالعة والكتابة ومنعوا أيضاً عنه الزيارات فعاش — رحمه الله — أيامه الأخيرة في وحدة قاسية متألما من شدة المرض الذي هجم عليه هجوماً عنيفاً وترك هيكله الضخم حطاماً لا يعرف ، ولم يفد بهر الأطباء والعمليات التي أجريت له ومختلف أنواع العقاقير فقضى مأسوفا عليه ، وأذاعت نعيه محطة الإذاعه العراقية ثم لجنة الترجمة والتأليف والنشر في وزارة المعارف وتناقلت محطات الإذاعة في الشرق والغرب هذا النعي وأبنت الفقيد بما تستحقه مكانته الأدبية وخدماته للغة العرب وتاريخهم .

تاريخ الكرملي :

ولد الكرملي في بغداد في اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٨٦٦ منحدراً من أم عراقية . ولما بلغ سن الدراسة ألحقه والده بمدرسة الكنيسة اللاتينية الابتدائية ، واهتم منذ صغره بدراسة اللغة العربية ومفرداتها . وفي سنة ١٨٨٦ رحل إلى بيروت ودخل المدرسة اليسوعية الاكليركية ، وعلى يد أساتذتها درس اللاتينية واليونانية ونبغ فيهما نبوغاً عظيما دهش له الأساتذة . وكان إلى جانب دراسته هذه يدرس العربية أيضاً دراسة متصلة لا تنقطع .

ولما كان طبعه الجسور لا يستقر ولا يهدأ ، ومطامحه لا تقف عند حد فقد ترك بيروت قاصداً مدينة (شيفرمونت) في بلجيكا فانخرط هناك في سلك الرهبنة وانغمر في الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وقد فتحت له هذه الدراسات أجواء جديدة من المعرفة . ثم ترك (شيفرمونت) إلى مدينة (لاغنو) ثم مدينة (مونبليه) في فرنسا ، فأنجز دراسته في الدير الكرملي هناك ورسم كاهنا باسم (أنستاس الكرملي) ولما تم له هذا النجاح سافر إلى أسبانيا وأقام هناك مدة يتنقل في المدن الأسبانية ويدرس آثار العرب ومخلفاتهم وما تركوا من ذخائر نفيسة في التاريخ والشعر واللغة والأدب ، واستنسخ عدة مخطوطات هامة من الأديرة والكنائس والمتاحف لا تزال محفوظة في مكتبته العامرة إلى الآن .

وبعد أن أنهى رحلته في أسبانيا رجع إلى بغداد فسلمت إليه إدارة المدرسة الكرملية وتولى فيها تدريس اللغتين العربية والفرنسية . ثم رأى أن هذا الجو يضيق بمعارفه وبتفكيره وما طبع عليه من انطلاق وتحرر وما في جبلته من حب للاستزادة من البحث والدرس فترك المدرسة وانصرف للتنقيب والتأليف في اللغة العربية وتاريخها والوقوف على أسرارها فكان لا يدخر وقتاً ومالا في سبيل الحصول على كل مخطوط أو كتاب يرى فيه عوناً لأبحاثه ودراساته .

وفي هذا التاريخ لمع اسم (الكرملي) باحثاً وعالماً لغويا لا يجارى ، فأخذ يضع التآليف القيمة والبحوث الهامة والدراسات المفيدة وينشر فصولا في المقتطف والهلال والمشرق وفي المجلات الأوربية التي قدرت سعة اطلاعه ونبوغه فأخذت تراسله وتعتمد عليه وتستشيره في الشؤون التي اختص بها . كما أن دوائر الاستشراق رأت فيه عالما مطلعاً وباحثاً عبقريا فاعتمدته في أبحاثها ودراساتها والإشراف على بعض ما يشكل عليها في تاريخ اللغة والأدب .

وفى سنة ١٨٩٦ أنشأ (الكرملى) جريدة (العرب) فعاشت أربع سنوات ثم مجلة (دار السلام) التى عاشت سنة واحدة . وفى سنة (١٩١١) أصدر مجلة (لغة العرب) فكانت من أرقى المجلات العربية فى العالم العربى حرر فيها نخبة من كتاب العراق والبلاد العربية ، وقد عاشت هذه المجلة عدة سنوات ثم أغلقت . وعند إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ نفى الكرملى خارج العراق بسبب ميوله الوطنية ثم أفرج عنه ، وفى هذه الأثناء انتخب عضواً فى مجمع المشرقيات الألمانى وذلك سنة ١٩١٦ وبعد ذلك انتخب عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق ثم عين عضواً فى المجمع الملكى المصرى للغة العربية .

وانصرف الفقيد بعد ذلك إلى التأليف وحضور المؤتمرات اللغوية ، وكان دائب السفر بين بغداد والقاهرة والقدس وبيروت باحثاً ومستقصياً ومستنسخاً ، حتى تمكن من تأليف ما يقارب الأربعين مؤلفاً فى الآداب واللغة والفلسفة والدين ، ومن أهم كتبه المطبوعة (الفوز بالمراد فى تاريخ بغداد) و (مختصر تاريخ العراق) و (جمهرة اللغات) و (كتاب الجموع) و (كتاب العجائب) و (كتاب أديان العرب) وغير ذلك من الكتب المهمة ؛ كما أنه وضع معجماً عربياً خطيا يعد حجة فى بابه . وله معجم (عربى فرنسى) مطول . أما كتبه وتآليفه غير المطبوعة فكثيرة ومهمة جداً نأمل أن تقوم وزارة المعارف بطبعها خدمة للغة العربية وتاريخها ولذكرى الفقيد الراحل .

وكان الكرملى يتقن إلى جانب اللغة العربية اللغات اللاتينية واليونانية والفارسية والتركية والانكليزية والفرنسية والأسبانية؛ وله أبحاث عديدة فى هذه اللغات نشرتها مجلات الغرب فى حينها وكلها تتناول لغة العرب وتاريخهم وآثارهم .

مكتبة الكرملى :

يملك الفقيد مكتبة تعد من أنفس المكتبات فى العالم العربى بما حوته من كتب مخطوطة ومطبوعات نادرة . جمعها من مختلف بلاد الشرق والغرب وبذل فى سبيلها أموالا كثيرة حتى كان رحمه الله يتجشم مشاق السفر فى سبيل الحصول على مخطوط أو استنتاخه مهما بعد المكان والقطر . ويقال إن مكتبته تحوى فى الوقت الحاضر على ما يقرب من (١٤) ألف مجلد بمختلف اللغات جمعها الفقيد فى خمسين سنة .

وحرصا على هذا الكنز النفيس من الضياع وحرمان الجمهور من فوائده وتمكيناً للعلماء والباحثين والطالعين من ارتياد هذه المناهل فقد تقرر بعد وفاته تأليف لجنة لتنظيم شؤون هذه المكتبة وإدارتها وإيجاد عمارة خاصة بها تفتح أبوابها للباحثين من رواد العلم وتأخذ هذه اللجنة على عاتقها طبع تآليف العلامة الفقيد والمخطوطات النفيسة الأخرى . والمتوقع تأليف هذه اللجنة من صاحبى المعالى الدكتور حنا خياط ويوسف غنيمة وبعض الأفاضل

وقد علمنا أن اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية قد عهدت إلى مندوب العراق فى الجامعة إبلاغ الحكومة العراقية رجاء اللجنة فى أن تقتنى الحكومة مكتبة المرحوم الكرملى قبل أن تضيع وتتبعثر

أدب الكرملى :

نشأ الكرملى نشأة دينية وتثقف ثقافة فلسفية، وعكف على دراسة اللغة العربية واللغات الأخرى وانصرف لبحوث التاريخ . وبرع فى علوم اللاهوت واشتغل أكثر سنوات عمره بتأليف الكتب التاريخية والفلسفية والدينية . وكان رائداً من رواد اللغة العربية وتاريخها . ولذا تجلت عبقريته فى هذا اللون من الأدب وحده . وكان حافظاً وراويا من الطراز الأول لكثرة ما قرأ من الكتب وطالع من الأسفار وتتبع من الحوادث .

كان الفقيد يعقد مجلساً أدبياً بداره فى (دير الكرمليين) فى يوم الجمعة من كل أسبوع ، وكان يختلف إلى هذا المجلس صفوة مختارة من الشعراء والأدباء والمؤرخين والصحفيين وبعض الأساتذة والطلاب . تختلف أذواقهم ومشاربهم . ولكن تجمعهم رابطة الأدب واللغة وحب البحث والجدل وتذوق هذه الألوان الفكرية التى كانت تدور فى هذا المجلس الذى كان دائماً يعمر بالرواد فيبحثون فى قضايا الأدب والنقد والشعر ويثيرون بعض المسائل الفكرية التى تتخذ فى النهاية شكلا من أشكال الجدل يطلع منه المرء على تيارات مختلفة من الأفكار والمنازع والأهواء .

وكان الكرملى يشترك فى جميع المباحثات والمناقشات الفكرية التى تدور فى مجلسه ويديرها ، وإذا لزم الأمر يبرز ما لديه من المراجع والمستندات والوثائق التى تزدحم بها مكتبته العامرة فى مختلف اللغات واللهجات للبرهنة على وجهة نظره وتأييد فكرته

وكنت من الذين يحضرون مجالس الكرملى الأدبية هذه ويشتركون فى بعض المناقشات التى تثار فى قضايا الأدب والفكر